تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوى

فضيحة علمية لأستاذ جامعي :

أعتقد أن هذه الكلمة ، تحت هذا العنوان ، ستدفع فريقاً من القراء إلى أن يقول لى : ترفق . . ترفق بالدكتور عبدالرحمن بدوى لأنه « فيلسوف » مصر الأول ، و « أستاذ » الفلسفة بجامعة إبرهيم ، وصاحب الإنتاج الفكرى — معذرة فلعل المقصود هو الإنتاج المطبعى — الذى يربى على الثلاثين كتاباً !

صيحة أتوقعها قبل أن أسمعها . . ولولا أننى أعرف الدكتور بدوى حق المعرفة ، من خلال محبته ، ومن ثنايا كتبه ، ومن حقيقة لقبه — أعنى فيلسوف مصر الأول — لولا أننى أعرفه على ضوء هذا كله ، لما تجاوزت الصيحة المنتظرة ومضيت فى الطريق إلى نهايته !

لقد كان من المعقول أن أترفق بالدكتور بدوى لو أنه ترفق باللقب الخطير الذى أضفى عليه ، وترفق بالأستاذية الجامعية التى هيئت له ، وترفق بالقيم الفكرية التى احتمى بها أو احتمت به ، وترفق بعقلى وعقلك وهو يريد أن يزاحم المنتجين فى كل ميدان . . لو أنه ترفق بهذه الأمور جميعاً لرجعت إلى قلمى أسأله شيئاً من الرفق ، أو شيئاً من الصفح ، أو شيئاً من الأناة !

لقد حاول الأستاذ أن يكون فيلسوفاً بالقوة ، وحاول أن يكون أديباً بالقوة ، وحاول أن يكون قصاصاً بالقوة ، وحاول أن يكون شاعراً بالقوة ، ، وحاول أن يكون ناشر مخطوطات ومحقق نصوص بالقوة . وقد تفلح القوة فى الشئون السياسية والدولية ، ولكنها — وهذا ما أود أن يفهمه الدكتور بدوى — لا تفلح فى الشئون الفكرية والفنية ! صدقنى أننى معجب به كل الإعجاب لأنه مؤمن بنفسه إلى أبعد حدود الإيمان ، حتى ليكرهها على مالا تحسن ومالا تطيق : يكرهها على فهم الفلسفة ، ويكرهها على هضم الأدب ، ويكرهها على نظم الشعر ، ويكرهها على كتابة القصة ، ويكرهها آخر الأمر على نشر المخطوطات وتحقيق النصوص . أرأيت إعناتاً بالنفس بلغ عند الموهوبين ما بلغه عند هذا المصرى النابغ الموهوب ؟ ألم أقل لك إننى معجب كل الإعجاب بهؤلاء المؤمنين بأنفسهم ، حتى ولو أكرهوها إكراهاً على أن تطرق كل باب ، وأرغموها إرغاماً على أن تخوض فى كل فن ، وأجبروها إجباراً على أن تحلق فى كل أفق ؟!

يخيل إلى أننى مقصر فى حق النقد ومهمل لرسالته . ولو لم أكن مقصراً ومهملا لتناولت قلمى منذ أمد بعيد لأحاسب الدكتور بدوى . . يخيل إلى هذا ، ولكننى أعود إلى نفسى فألتمس لها شيئاً من العذر ، حين أنظر إلى الميدان فأجده قد خلا من النقاد . ترى هل يستطيع ناقد واحد أن يحاسب هذا العدد الضخم من المنتجين ؟ وكيف أستطيع أن أحاسبهم جميعاً وفيهم من أحال الإنتاج « المطبعى » إلى معمل من معامل التفريخ ؟ !

إن إنتاج الدكتور بدوى وحده جدير بأن يشغل جيشاً من النقاد لا يهدأ ولا يستقر ، ولكن أين هو هذا الجيش ؟ أين الفصيلة التى تحارب الدكتور بدوى فى جبهة الفلسفة ، وأين الفصيلة الثانية التى تحاربه فى جبهة الأدب ، وأين الفصيلة الثالثة التى تحاربه فى جبهة الشعر ، وأين الفصيلة الرابعة التى تحاربه فى جبهة القصة ، وأين الفصيلة الخامسة التى تحاربه فى جبهة التحقيق العلمى . . وأين الفصائل الأخرى التى تحاربه فيما يستجد بعد ذلك من جبهات ؟ لقد تصدى له صديقنا سيد قطب — جزاه الله خيرا — فى الجبهة الثالثة يوم أن اجترأ على أن يصدر ديوانه الخالد « مرآة نفسى » ، ومع أن طعنات صديقنا الأستاذ قطب كانت قاتلة ، إلا أنها كانت طعنات مهاجم واحد فى ميدان يحتاج إلى فصيلة من المهاجمين . . إذا لم تصدق فاعلم أن الدكتور بدوى قد شرع فى إخراج ديوان جديد ، ديوان أسأل الله أن يعيننى على لقائه ! !

مهاجم واحد بالأمس فى جبهة الشعر هو سيد قطب ، واليوم يظهر فى الأفق مهاجم آخر هو سيد صقر . ما أعجب التشابه بين الاسمين وما أبعد الفارق بين الجبهتين . . إن الجبهة التى يهاجم فيها صديقنا الأستاذ صقر جبهة جديدة ، فتحها الدكتور بدوى

وهو أقدر القادرين على فتح الجبهات ، لأنه أقدر القادرين على ادعاء المواهب والملكات . . أما رحى المعركة فتدور على صفحات زميلتنا مجلة « الثقافة » . هناك حيث حظر للدكتور بدوى أن يحقق « الإشارات الإلهية » لأبى حيان التوحيدى !

إلى هنا وأقف قليلا لأحدثك عن هذه الفضيحة العلمية التى ارتكبها الدكتور بدوى ، وكشف عنها الغطاء صديقنا الأستاذ السيد أحمد صقر جزاه الله . . لقد نشر المقال الأول فى العدد الأسبق من « الثقافة » ، ولن يصل هذا العدد من « الرسالة » إلى أيدى القراء حتى يكون المقال الثانى قد خرج إلى النور . . ليهتك حجب الظلام ! ولن يقتصر الأمر على هذين المقالين ، فلابد من مقال ثالث ورابع وخامس ، لقاء ما بذل الدكتور بدوى من جهد فى تشويه سمعة أبى حيان ، وتشويه سمعة نفسه ، وتشويه سمعة التحقيق العلمى فى مصر ! !

إن ما نشر من سقطات الدكتور بدوى كان أهون ما فى الكتاب ، وما بقى كان ألمن . . واستمع لفصول القصة :

فى مساء الإثنين الماضى كنت وحيداً فى بيتى ، أتأهب للخروج ولا أعرف إلى أين ، فقد كان كل همى أن أطلق النفس من قيود الأسر ، أسر القلم والكتب والجدران . . وفجأة هبط على زائر كريم لم أكن أتوقع زيارته ، لأنه كان معى قبل ذلك بيوم واحد ، هناك على صفحات مجلة « الثقافة » . وحين راحت يده اليمنى تصافحنى كانت يده اليسرى تصافح أبا حيان ، أعنى تتصفح كتابه المفترى عليه : الإشارات الإلهية !

وقلت للأستاذ السيد احمد صقر بعد أن استقر به المقام : معذرة فليس لدى تليفون حتى أدعو الأدباء من أعضاء ندوتنا الأدبية إلى الإجتماع فى بيتى . تعال نذهب إلى مكاننا المختار حيث ندعوهم من هناك ، فما أحوجك إلى كثير من الشهود المستمعين لدفاعك عن كرامة التحقيق العلمى فى مصر ! . . . والتأم شمل الندوة بعد دقائق ، فكان فيها إلى جانب الشعراء والأدباء ، بعض الأساتذة من جامعتى فؤاد وإبرهيم . وبدأ الأستاذ صقر يقرأ على الآذان المرهفة مقاله الأول الذى نشر فى « الثقافة » ، وحين انتهى منه ، مضى يقلب صفحات الكتاب الذى « حققه » الدكتور بدوى وقدم له ، واقفاً عند كل صفحة ، مشيراً إلى كل سقطة ، لافتاً إلى كل تشويه ، معرجاً على كل تحريف !

أقسم لقد ضحكنا حتى اهتزت تحتنا القواعد من كثرة الضحك ، ودهشنا حتى عقدت الدهشة منا كل لسان ، وأسفنا حتى ارتسمت معالم الأسف على قسمات الوجوه ونظرات العيون . . وقال أستاذ جامعى طلب إلى ألا أذكر اسمه لأنه صديق للدكتور بدوى وزميل له فى جامعة إبراهيم : « هذه فضيحة من طراز فذ ليس له نظير . إن مصيبة الدكتور بدوى أنه لا يتأنى فى إخراج كتبه ، لأنه مولع بأن يكون له فى السوق أضخم إنتاج بين المعاصرين . . هل المسألة مسألة كم أم مسألة كيف ؟ أظن أن الجامعيين يجب أن يهتموا بالجانب الأخير » !

وعقب الأستاذ صقر غاضباً وهو يوجه إلى الحديث : لو كنتم يا حضرات النقاد تحاسبون هؤلاء الناس لما حدث الذى حدث . . إنكم تتحدثون عن أزمة القراء ، ناسين أن إنتاجاً من هذا الطراز هو العامل الأول من عوامل الأزمة ، أو هو العنصر الخطير من عناصر المشكلة . إن القراء معذورون إذا انصرفوا عن القراءة وشغلوا عن ثمرات المطابع ، ما دام أكثر الكتاب فى مصر يلتمسون الشهرة عن طريق القيمة « العددية » للآثار الفكرية !

وقلت للأستاذ صقر وعلى شفتى طيف ابتسامة : هذا صحيح ! ولكن من هم « حضرات » النقاد ياصديق ؟ ترى هل تخاطبنى بصيغة الجمع توقيراً لى ، أم تقصد إلى أن فى البلد نقاداً كثيرين يستحقون اللوم والتأنيب ؟ إذا كنت ترمى إلى التوقير فأنا أشكرك ، أما إذا كنت ترمى إلى كثرة النقاد فإنى أعترض عليك . . أين هم النقاد فى مصر ؟ إننى أكاد أقف وحدى فى ميدان النقد ، ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها ! ثم هل وجهت شيئاً من لومك إلى حضرات الأساتذة الجامعيين الذين يجلسون بيننا فى هذه الندوة ؟ لماذا لا يمتشق أحدهم قلمه ليحاسب زميلا له على هذه الفضيحة العلمية التى تسىء إلى الجامعة ؟ مهما يكن من شىء فأنا أعدك بأن أكتب فى الموضوع على صفحات « الرسالة » !

وقال أحد الجالسين من الأدباء وهو يريد أن يطمئن : من أى زاوية ستتناول الموضوع ؟ هل ستشير فى « الرسالة » إلى بعض ما كشف عنه الأستاذ صقر فى « الثقافة » ، أم أنك ستتحدث عن أزمة القراءة مرة أخرى لتنصف القراء ؟!

وأجبت وأنا أدرك هدف اللفتة البارعة : بالطبع سأشير هنا إلى مقالات الأستاذ هناك ، وسأطلب إلى قراء « الرسالة » باسم الحق والكرامة العقلية وأمانة البحث والاطلاع ، أن يتابعوا الأستاذ صقر فى « الثقافة » ليطمئنوا إلى أننى لم أكن غالياً فى كل هذا الذى كتبت ، وليدركوا أن أثر هذه الفضيحة العلمية فى ميزان الضمير العلمى ، لا يقل عن أثر أى فضيحة أخرى كفضيحة تحقيقات الجيش مثلا فى الضمير الإجتماعى . . أما القراء فلا بأس من أن أعفيهم بعض الإعفاء من تحمل التبعة ، ما دام الدكتور بدوى وأمثاله فى الميدان !

وقال الأستاذ صقر وهو يدفع إلى بكتاب « الإشارات الإلهية » : إن للكتاب مقدمة لا تدخل فى حدود علمى ولكنها تدخل فى حدود علمك . . إنها محاولة « رائعة » يثبت بها الدكتور بدوى أن أبا حيان كان أديبا وجوديا لا يقل أصالة فى نزعته الوجودية عن الأديب الألمانى فرانز كفكا ! . . إننى أترك لك هذه المقدمة لتناقشها على صفحات « الرسالة » ، وسأدفعك إلى ذلك دفعاً حين أوجه إليك هـــذه الرغبة على صفحات « الثقافة » . . إقرأ يا صديقى اقرأ ، واشكرنى على أن قدمت إليك متبعاً من منابع الإضحاك !

وتناولت الكتاب ورحت أقرأ هذه المقدمة العجيبة حقا . تقولون إن نجيب الريحانى الذى كان نابغة عصره فى إضحاك الناس قد مات ، دون أن يملأ مكانه أحد ؟ مهلا أيها المتشائمون . . لقد أثبت الدكتور بدوى أن نجيب الريحانى لم يمت ، وإذا كان ، فقد ملىء مكانه بجدارة ! أثبت ذلك فى تحقيقه لمخطوط أبى حيان عن « الإشارات الإلهية » ، وفى مقدمته التى ذهب فيها إلى أن أبا حيان كان صاحب نزعة وجودية . . وبقى أن ينتهى الأستاذ صقر من مقالاته ، ليتفرغ لى الدكتور بدوى فى هذا المكان !

برناردشو ورسالة المال :

فى عدد قريب من الرسالة الغراء ، وضعت لنا فى ميزانك الدقيق الأنيق ، وعلى أضواء عقلك المفتش وأشعة ذهنك الوهاج الكاتب الأيرلندى العالمى جورج برناردشو ، فأدركنا ألمع اللافتات فى فن هذا الكاتب العظيم . . لافتته العقل الساخر .

وعرفنا أنها « الإطار الطبيعى الذى يحيط بكل صورة من صور هذه الحياة ، ونقطة الارتكاز التى يلتقى عندها خط الاتجاه النفسى الممتد من هنا وخط الاتجاه الفكرى المنطلق من هناك »

غير أنى وقفت طويلا يساورنى الشك ويتوزعنى الارتياب ، عند نقطة قلت لعل من الخير أن أرجع إليك متسائلا ومستمداً من تلقى الجواب . . لقد قلت إن شوكان يمتدح الشيوعية الروسية وينعت قطبها الأكبر ستالين بأنه خير الناس ، ثم تساءلت : ترى هل كان شو يؤمن بهذا الرأى الذى يجهر به ، أم أن سخطه على الرأسمالية عامة وعلى الإنجليز خاصة ، هو الذى كان ينطقه بغير ما يعتقد ويظهره بغير ما يريد ؟ ثم أجبت بقولك : الحق أنه السخط من جهة — وتقصد السخط على الرأسمالية طبعا — والإيمان بالرأى من جهة أخرى !

ولكن ، هل كان شو يا سيدى ساخطا حقا على الرأسمالية ، غير مؤمن باستحواذ المال ؟ إن الأستاذ العقاد يؤكد لنا فى كتابه الصغير عن برناردشو ، أنه كان مؤمنا برسالة المال فى حياة الآحاد وحياة الجماعات (ص ١١٤) ، وقال إنه لا يكتم هواه للمال وحبه للاستزادة منه ما استطاع (ص ٢٥) ، ثم يحدثنا العقاد عما كان يجذب شو نحو الاشتراكية فيقول : كان يجذبه إليها « فقره » وتمرده على النظم القائمة وشأنه الايرلندية التى تعلم منها الثورة على الاستعمار والاستقلال ، فكان انضواؤه إلى جماعة الفابيين (ص٢٧) فإذا أردنا تفسير كلمة « فقره » وجدناها لا تنفى سخطه على الرأسمالية ، يؤيد ذلك قول شو نفسه : لا تخلطين كرهك لزيادة جارك فى الغنى وكرهك للفاقة . . فكأنه يقول : لتكره الفاقة ما استطعت ولتحاربها بالجهد فى كسب المال ، ولكن لا تكره الأغنياء لأنك فقير ، كأنه يقول ذلك

من هذا يا سيدى أردت المزيد من الوضوح ، ولعل فى تفسيرك السابق معنى آخر تكمن فيه الحقيقة دون أن أفطن إليه ، وقد استدق على فهمه واستجلاؤه . . وتقبل أخلص تحيات المعجب :

(السويس) محمد محمد عبد الرحمن

الأديب الفاضل صاحب هذه الرسالة تاجر من تجار السويس ومع ذلك فهو يقرأ « الرسالة » ، ويناقش فى الأدب ، ويقتطع من وقته لحظات ثمينة يقضيها فى صحبة الأدباء . . من حقه على